

الكسندر كوبرين

يو-يو


mohamed khatab



ما دام الامر قد وصل الى الاصغاء ، يا نينا ، فلتكونى كلك اذنا صاغية ، ودعى غطاء المائدة وشأنه ولا تجدلى الضفائر من اهداب حافاته .

يسمونها يو — يو . لم تكن فى البداية غير لفافة منفوشة ، لها عينان مرحتان وانف صغير ابيض وردى . وتغفو هذه اللفافة على الشباك تحت اشعة الشمس ، تغمض عينيها هارّة وهى تلحس الحليب من صحن صغير ، وتصيد الذباب على زجاج الشباك ، وتتدحرج على الارض لاعبة بقطعة ورق او بشلة خيط او بذيلها . . . ولا



نذكر كيف كبرت هذه اللفافة ، التى تجمع بين اللون الاسود والاحمر والابيض ، واصبحت قطة رشيقة بارعة الجمال ، يغبطها المحبون .

قصارى القول ، اصبحت يو — يو قطة القطط ، تلبس فروة كستنائية غامقة اللون طويلة الشعر لماعة تتخللها بقع صارخة وصدرها ابيض كث ، وشاربها ربع ذراع طولا ، رجلاها الخلفيتان كأنهما فى سروال واسع وذيلها كالفرشة لتنظيف زجاج المصابيح ! . .

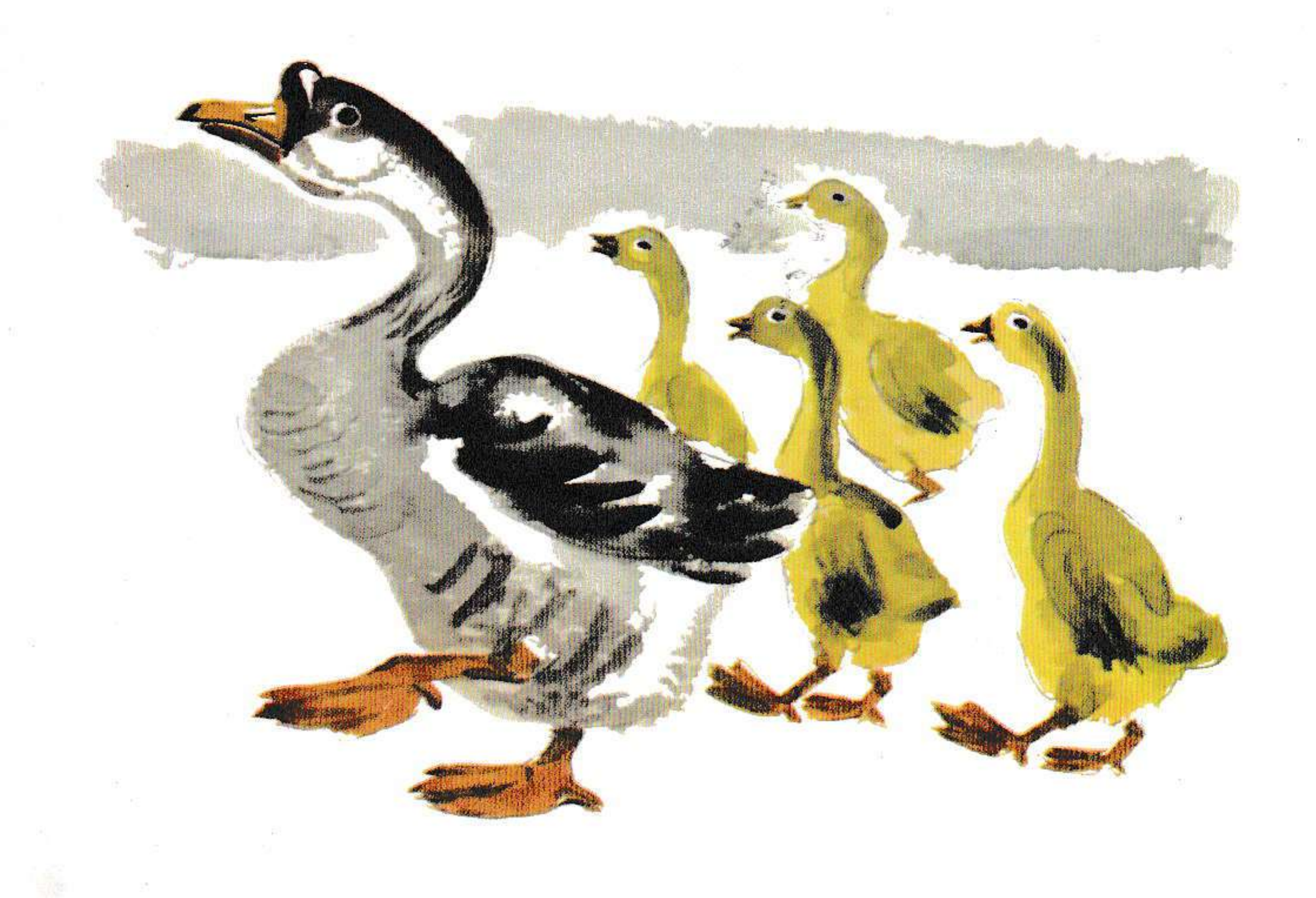
اتركى الكلب جانبا ، يا نينا . ترى هل ان أذن الجرو عروة آلة الشرمانكة الموسيقية لتبرميها دوما ؟ ماذا لو قام احد ببرم أذنك ؟ كفاك ، والا امتنعت عن الحديث . . .

حسنا . . هكذا . اما اروع ما فيها فطباعها . تذكرى ، يا عزيزتى نينا ، اننا نعيش جنبا الى جنب مع حيوانات كثيرة ولكننا نجهلها كل الجهل . وما ذلك سوى اللامبالاة من جانبنا . لنأخذ مثلا الكلاب التى عرفتها واياك . لكل كلب عاداته وطبائعه . كما هو الحال بالنسبة للقطط والخيول والطيور .

هل رأيت ، يا نينا ، احدا كثير الحركة والضجيج مثلك ؟ لماذا تضغطين على جفنك بسبابتك ؟ لكى يتراءى لك مصباحان يتطابقان ويفترقان من حين لآخر ؟ اياك ان تلمسى عينيك بيديك . . .

لا تصدقى كل ما يقال سوءا عن الحيوانات . يقال بأن الحمار احمـــــق . ويكنّى الانسان بالحمار للتدليل على ضيق افقه وعناده وكسله . ويخالف هذا الوصف الواقع ، فالحمار الى جانب كونه حيوانا ذكيا فهو مطيع ، يحب العمل . ولكن اذا ما حملناه فوق طاقته واعتبرناه جواد سباق فلن يتزحزح عن مكانه محتجا بقوله : «لا طاقة لى على هذا . افعل بى ما تشاء» . ولن يتحرك قيد انملة مهما اشبعه ضربا .

اما الحصان — فله طبيعة مختلفة تماما . فهو عديم الصبر ، عصبى المزاج وضيق الصدر ، يعمل كل شيء وان كان يفوق قدرة احتماله وقد يفقد الحياة ثمنا لغيرته وتفانيه . . .



في الوقت الذى لا تجد اذكى منها فى
وينعت الانسان فى غبائه بالوزة . . . فى الوقت الذى لا تجد اذكى منها فى الطبيعة . فالوزة تعرف صاحبها من وطأة قدمه . فلو عدت الى المنزل فى منتصف الليل وفتحت بوابة الحديقة فلن تحرك الوزات ساكنا كأنما لا وجود لها . اما اذا دخل شخص غريب فناء الدار فيتعالى صراخها فى الحال : «غا ـ غا ـ غا ! غا ـ غا ـ غا ! من ذا الذى دخل بيتا غير بيته ؟»

ليتك تعلمين . . . نينا ، لا تمضغى الورق . ابصقيه . . . ليتك تعلمين ، فيالهم من آباء وامهات ! يتناوب الاب والام على احتضان الفراخ . وان الاب اكثر حرصا من الام . فلو رآها اسرفت فى الحديث مع جاراتها عند طست ماء



الشرب فى ساعات الفراغ — كعادة النساء — ينطلق ذكر الاوز نحوها ممسكا قفاها بمنقاره ثم يجرها بأدب الى البيت ، الى العش والى واجباتها كأم . أرأيت كيف !

ان عائلة الوز تثير الضحك عندما تستعد للنزهة . تجد الاب — السيد والمحافظ — يتقدم العائلة شامخا بمنقاره دلالة على الوقار والكبرياء وترفعا على بقية الطيور . والويل للكلب الساذج او الفتاة الطائشة ، مثلك يا نينا ، اذا اعترضوا طريقه : اذ تنتصب رقبته ، فى الحال ، كالافعى ، ويسمع له ازيز كأزيز قنينة الصودا ، وتتباعد شقة منقاره الصلب ، وفى اليوم التالى ستسير نينا وزرقة كبيرة تحت ركبة رجلها اليسرى ، اما الكلب فسيهز اذنه المقروصة باستمرار .



وتتبع الفراخ ، بلونها الاصفر الضارب الى الخضرة ، الاب ، وكأنها زغب زهور الصفصاف ، مصأصئة ومتلاصقة بعضها ببعض ، عارية الرقاب تكاد لا تشبت على قدميها — وتكاد لا تصدق بأنها ستكبر وتصبح كوالدها . وتعجز عن وصف الام وهي تسير في المؤخرة ، يالها من سعيدة ومعتزة ! «دع العالم اجمع ينظر ويتعجب لروعة زوجي وبداعة اولادي . ومع اني أم وزوجة ، فعليّ ان اقول الحقيقة : لن تجد في الدنيا ابدع منهم» . ثم تواصل خطاها متبخترة مترنحة .

تذكري يا نينا ، بأن الوزات وكلاب التاكس ، القصيرة الارجل والشبيهة بالتماسيح ، هي اقل الحيوانات تعرضا لحوادث الدهس ، في الوقت الذي يصعب تحديد من منهما اخرق من الآخر .

لنأخذ الحصان . ما يقال في الحصان ؟ انه غبي . ولا يمتاز الا بجماله وبقابليته على سرعة العدو وتذكر الاماكن . والحال — فهو غبي غباء شديدا فضلا عن قصر نظره ، ومتقلب الاطوار ، مرتاب ولا يتعلق بالانسان . بيد ان هذا الكلام المجافي للحقيقة يصدر عن الذين يربطون الحصان في اصطبلات معتمة والذين يجهلون متعة تربيته وهو مهر والذين لم يدركوا قط امتنان الحصان لمن يهتم بتغسيله وتنظيفه ووضع النعل في رجله وإطعامه وارووائه . فكل ما يدور في خلد انسان من هذا الطراز ، هو امتطاء الحصان والخوف من ان يرفسه او يعضه او يرميه ارضا . ان انسانا كهذا لا يفكر في ترطيب فم الحصان ، او في اختيار ارض سهلة له ، او بسقيه جرعات محدودة من الماء في اوقات معينة ، وبتغطيته بالجلال او بمعطفه الشخصي في محطات الاستراحة . . . وبعد هذا كله ، هل من سبب يحدو بالحصان ان يحترمه ؟

اما لو سألت الفارس الحقيقي عن الحصان فلن تسمع منه سوى ان : الحصان اذكى واطيب واكرم حيوان اذا تولت امره اياد مقتدرة طيبة .

الحصان عند العرب فرد من افراد العائلة . يأتمنونه على الصغار ليرعاهم كأخلص مربية . فكوني مطمئنة من ان حصانا كهذا سيسحق العقرب بحافره وسيوقع بالحيوان المفترس . واذا ما زحف الطفل الى مكان ما في الاشواك ، حيث توجد الافاعي ، فسيمسكه الحصان بلطف من ياقة قميصه او سرواله وسيسحبه الى الخيمة وينهره وكأنه يقول :

«لا تترك مكانك الى حيث لا يسمح لك» .

وقد يموت الحصان من شدة حنينه الى صاحبه وقد يذرف دموعا حقيقية عليه .

اسمعى ما تقوله كلمات احدى الاغانى التى يرددها القوزاق فى منطقة زاباروجيه عن حصان قتل فارسه :

طريح الفلاة لا روح فيه ،
ذو الحافر يبكيه .
يطرد عنه الذباب ،
يرمقه باكتئاب .

أترين ؟ من المحق ؟ أهو الفارس الحقيقى أم الفارس الهاوى الذى لا يلتقى بالفرس فى غير ايام الآحاد ؟ . .

آه ، يبدو انك لم تنسيْ موضوع القطة ؟ حسنا ، لنعد اليها .

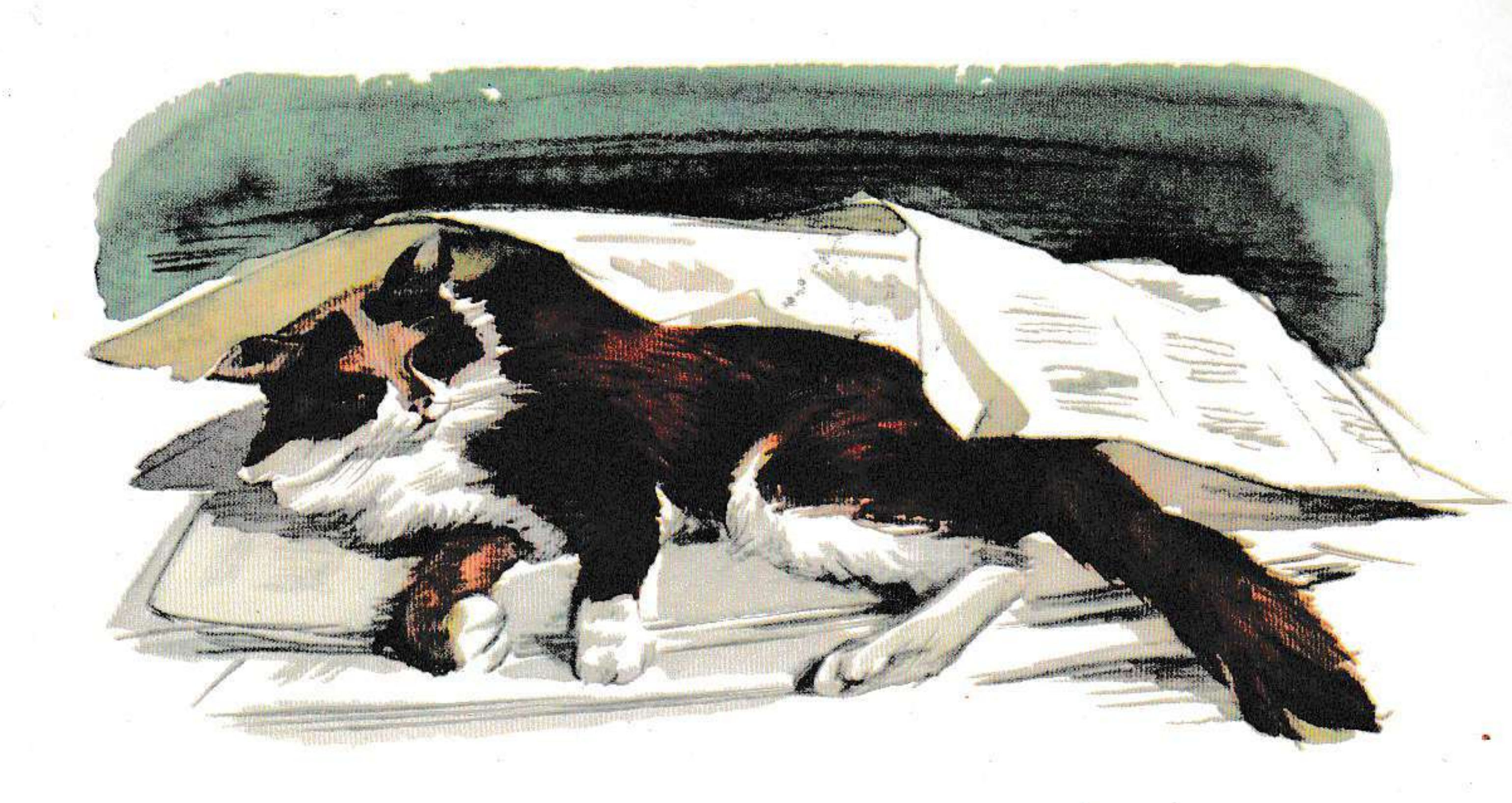
ولكنى آسف . فقد كان بودى ان احدثك عن اشياء كثيرة اخرى : عن الخنازير التى يفترى عليها بأنها غير ذكية ولا تحب النظافة ، وعن الغراب الذى يخدع ، بحيله الخمس ، الكلب المربوط ليسرق منه العظم ، وعن الجمال . . . حسنا اذن ، سحقا للجمال ولنعد الى قصتنا عن القطة .

لا تتقيد يو ـ يو باختيار مكان نومها فى البيت : على الاريكة ، ام على السجادة ، ام على الكرسى ، ام على دفاتر النوت الموسيقية الموضوعة فوق البيانو . لكنها تفضل الاسترخاء بين صفحتى الجريدة لما لحبر المطابع من رائحة شهية بالنسبة للقطط ، فضلا عن ان الورق يحفظ الحرارة افضل من اية مادة اخرى .

ومع نهوض سكان المنزل تكون اول زيارة عمل تقوم بها يو ـ يو من نصيبى دائما وذلك بعدما يلتقط سمعها المرهف صوت الطفل الصداح المنبعث من الغرفة المجاورة لغرفتى .

تفتح يو ـ يو بوجهها ويديها الباب الموارب ثم تدخل ، تثب الى السرير ، وتدفع يدى او خدى بأنفها الوردى وتقول باختصار : «موررم» .

لم تمؤ ولو لمرة واحدة فى حياتها كلها بل كانت تتفوه بعبارة : «موررم» ذات



الرنة الموسيقية ، لكنها كانت تتسم بتعابير مختلفة يستشف منها الحنان حينا والقلق او الطلب او الرفض او الشكر او الخيبة او العتاب احيانا اخرى . لكن عبارتها «موررم» القصيرة كان معناها فى كل الاوقات : «اقتفى اثرى» . وكانت تقفز الى الارض وتتوجه الى الباب دون ان تلتفت الى الخلف او تشك فى عدم اطاعتها .

فأطعتها . ارتديت ملابسى بعجلة ثم خرجت الى الممر المعتم . كانت يو — يو ، بعينيها الصفراوين المائلتين الى الاخضرار كأنهما قطعة من حجر الكريزاليت ، بانتظارى قرب الباب المؤدى الى الغرفة التى كان يرقد فيها صبى فى ربيعه الرابع وامه . فَتَحتُ الباب قليلا . لم اكد اسمع كلمة الشكر «مرم» حتى تسللت يو — يو ، بحركة رشيقة موّجت خلالها ذيلها المنفوش ، الى غرفة الطفل .

فى الداخل جرت طقوس تحية الصباح . قبل كل شىء — فرض الاحترام شبه الرسمى — قفزة الى سرير الام : «موررم ! مرحبا يا ربة البيت !» الذى ينتهى بلفح

يد الام وخدها ، ثم النزول عن السرير وبعدها القفز عبر الحاجز الى سرير الطفل . والرقة متبادلة فى لقاء الجانبين هنا .

«موررم ، موررم ! مرحبا يا صديقى الصغير ! هل كان نومك هادئا ؟»

— يو—يو ، يو—يو ، بهجتى يو—يو !

واذا بصوت ينبعث من السرير الآخر قائلا :

— كوليا ، قيل لك ، مئة مرة ، اياك ان تقبل القطة ! انها مصـــــدر للجراثيم . . .

لا يمكن ان تستعطى يو—يو ابدا . بل هى تشكر ، بطيبة ووداعة ، من يقوم لها بخدمة . اما ساعة قدوم الصبى من عند القصاب ، ووقع خطواته ، فقد اصبحت تعرفها بكل دقة . فان كانت فى الخارج ، فهى حتما بانتظار لحم البقر تحت سقيفة الباب ، اما ان كانت داخل البيت فستجرى للقاء اللحم الى المطبخ . وقد اصبحت تفتح باب المطبخ بنفسها بمهارة فائقة . وليس مقبض هذا البـــاب مستدير الشكل ومصنوعا من العظم ، كمقبض باب غرفة الاطفال ، بل هو طويل







ومصنوع من النحاس . فبقفزة الى هذا المقبض تمسكه من كلا طرفيه برجليها الاماميتين وتستند الى الحائط برجليها الخلفيتين ، وبدفعة او دفعتين من جسمها المرن — كلاك ! واذا بالمقبض قد انصاع لها وانشق الباب وما بعد — فهو سهل .

يحدث ان ينشغل الصبى طويلا فى تقطيع ووزن اللحم . فتقوم ، لنفاد صبرها ، بالتشبث بحافة المائدة بمخالبها ثم تتمرجح للامام والخلف وكأنها بهلوان سركسى يلعب على العارضة . بيد انها تؤدى ذلك بصمت .

ان الصبى مرح ، احمر الخدين ، مغفل مضحاك ، ولع بالحيوانات ، ومغرم بيو — يو خاصة . اما هى فلا تسمح له حتى بلمسها . تلقى نظرة تشامخ ثم تقفز جانبا . انها ابية ! فليس الصبى بالنسبة لها سوى شخص يأتيها باللحم كل يوم ولا اكثر من ذلك . انها متعالية بنظرتها الى كل ما لا يمت بصلة الى بيتها وما يقع خارج نطاق ميولها ورعايتها . اما نحن فنحظى بعطف لديها .

لقد احببت تلبية اوامرها . اليك مثلا ما جرى لى معها . كنت فى الدفيئة فى البستان مشغولا باستئصال لباليب البطيخ الزائدة بعناية — يتطلب ذلك تقديرات كثيرة وكان الجو حارا لشدة اشعة شمس الصيف ولدفء الارض ، واذا بيو — يو تقترب بهدوء



«مروم» !

هذا يعنى : «هيا بنا ، اريد ان اشرب» .

بعد ان استقمت بصعوبة ، وجدت يو — يو وقد سبقتنى دون ان ترمقنى بنظرة .

ترى هل باستطاعتى رفض طلبها او الابطاء فى تلبيته ؟ تقودنى من بستان الخضار الى الفناء ومنه الى المطبخ ثم الدهليز حتى غرفتى . افتح امامها جميع الابواب ، بأدب ، واترك لها المجال ، باحترام ، لتسبقنى بالدخول . وبعد ان تقترب من المغسلة حيث يوجد الماء النقى ، تقفز اليها بخفة وسرعان ما تجد على حافاتها المرمرية ، بمهارة ، نقاط ارتكاز لارجلها الثلاث تاركة الرابعة سائبة للمحافظة على التوازن ، — تنظر الىّ بزاوية تمر عبر اذنها قائلة :

«مروم ، افتح الحنفية» .

اترك تيار الماء الفضى ليسيل . تمدّ يو — يو رقبتها برشاقة لتلحس الماء بلسانها الوردى الدقيق باستعجال .

تشرب القطط الماء نادرا . ولكن عندما تبدأ بشربه فلا تكتفى بكمية قليلة منه ، فضلا عن انها ترتشفه لمدة طويلة . احيانا ، امزح معها ببرم مفتاح الحنفية ، المطلى بالنيكل والذى يشبه علامة «زائد» ، فينضح الماء على قطرات . تستاء يو — يو . وتغير وقفتها غير المريحة بضيق صدر وتحول رأسها نحوى وكأن عينيها حجرتا توباز اصفر تحدقان فىّ بعتاب وملامة .

«موررم ! اترك حماقاتك ! . .»

ثم تدفع الحنفية بأنفها عدة مرات .

ينتابنى الخجل . فاطلب العفو واترك الماء ليسيل كما ينبغى .

ثم يصادف ايضا ان تكون يو — يو جالسة على ارض الغرفة امام التخت وبجانبها ورقة جريدة . ادخل واتوقف . تنظر الىّ يو — يو نظرة ثاقبة دون ان يرف لها جفن . احدق فيها . وهكذا تمر دقيقة . اقرأ فى نظرتها بوضوح :

«انك على علم بما احتاجه ولكنك تتجاهل . مهما كلف الامر فلن ارجوك» .

ركعت لأرفع الجريدة وفى نفس الوقت تدارك سمعى صوت قفزة خفيفة . واذا



بها قد اصبحت فوق التخت . ورقت نظرتها . صنعت من الجريدة خيمة وغطيت بها القطة ولم يبق سوى ذيلها المنفوش ناتئا الى الخارج . ولكنه اخذ ينسحب تدريجيا الى داخل الغطاء الورقى . سمع صوت ورق الجريدة مرة او مرتين ثم تململ وبعدها حل الهدوء . لقد نامت يو— يو . اخرج ماشيا على رؤوس الاصابع .

وكان لى مع يو— يو ساعات سعادة عائلية هادئة خاصة ويحدث هذا عندما اكتب فى الليالى : انه عمل مضن ولكن عندما يعتاد عليه المرء سيجد فيه متعة هادئه جمة .

تسمع صوت الريشة المرة تلو الاخرى وهى تخدش الورق ، واذا بكلمة ضرورية جدا تنقصك . اتوقف . ياله من سكون ! يحترق النفط فى المصباح بصوت تكاد لا تسمعه ، ويطن فى الاذنين تلاطم امواج البحر ، فيصبح الليل اكثر هدوءا او

سكينة . وجميع الناس نائمون ، وجميع الحيوانات نائمة ، الخيول والطيور ، والاطفال ، ولعب كوليا فى الغرفة المجاورة . حتى الكلاب قد انقطعت عن النباح : غفت . تنحرف العيون محوّلة ، وتشرد الافكار متوارية . اين انا : أفى غابة كثيفة ام فوق برج مرتفع ؟ ثم ارتعد لدفعة خفيفة مرنة . انها يو — يو وقد وثبت بخفة من ارض الغرفة الى الطاولة . لا ادرى ابدا متى أتت .

تهر على الطاولة قليلا ، تدب متفرجة على المكان ، ثم تربض بجانبى قرب يدى اليمنى وكأنها لفافة منفوشة مقوسة الارجل ؛ ارجلها الاربع ملمومة ومخفية ، تبرز منها قليلا قدماها الاماميتان فقط وكأنهما قفازان من القطيفة .

ثم اعود ثانية الى الكتابة بسرعة وشغف . ومن حين لآخر القى نظرات سريعة على القطة الجاثمة فى وضع جانبى امامى دون ان احرك رأسى . تحدق بالنار عينها الزمردية الواسعة المقسومة من الاعلى للاسفل بشق حدقتها الاسود الضيق كحد الشفرة . ومهما كانت رفة اهدابى سريعة ، فان يو — يو ترصد ذلك وتلتفت بوجهها الجميل نحوى . تتحول حدقتها الضيقة الى دائرة سوداء لامعة تؤطرها حافة ضيقة كهرمانية اللون . حسنا يو — يو ، لنستمر فى الكتابة .

تخدش الريشة الورق ثم تخدش ، وتحضرك الكلمات ، طوعا ، موفقـــة متجانسة ، وتتركب الجمل على اختلافها بدون تكلف . ولكن الرأس قد ثقل وتعب وظهرت آلام فى الظهر وانتابت الرجفة اصابع اليد اليمنى . أفلم يحن الوقت ؟

كما ان يو — يو تفكر بأن الوقت قد حان . وقد ابتكرت لنفسها ، منذ مدة ، سلوة فى الاهتمام بمراقبة السطور المتزايدة على الورق ملاحقة الريشة بعينيها متخيلة بأنى اخرج منها ذبابات سوداء صغيرة مشوهة الشكل . كانت الضربة صائبة وسريعة : انتشر الدم الاسود على الورق . هيا للنوم يا يو — يو . ولندع الذباب ينام ايضا حتى الغد .

قد اصبح بالامكان تميز ملامح شجرة الدردار الرشيقة من خلال الشباك . تتكور يو — يو على اللحاف قرب قدمى . .

. . . لقد مرض كوليا صديق يو — يو ومعذبها .

منعت القطة من الدخول على المريض . ولعلى لا اكون مخطئا ان قلت بأن ذلك اجراء صائب . فقد ترمى شيئا او تسقط آخر او توقظ الطفل او تفزعه . ولم يستغرق تعويدها على الابتعاد عن غرفة الطفل وقتا طويلا . فسرعان ما فهمــــــت وضعها . ولكنها بالمقابل افترشت الارض خارج الباب ، كالكلب ، ملصقة انفهـــا الوردى فى الشق تحت الباب ، وامضت جميع هذه الايام السود على هذه الحالة لا تبارح المكان الا لتناول الطعام او للنزهة القصيرة . ولا جدوى من طردها . كما انه من المؤسف عمل ذلك . يخطو الجميع من فوقها عند الدخول والخروج من غرفة الطفل ، يدفعونها بالارجل ويدوسون على ذنبها وارجلها ، يقذفونها احيانا عند العجلة وضيق الصدر . تصأصئ فقط مفسحةً الطريق ثم ترجع لتأخذ مكانها السابق ثانيــة بهدوء ولكن باصرار . ولم اسمع او اقرأ عن مثل هذه التصرفات لدى القطط .





وبقدر ما اعتاد الاطباء الا يتعجبوا لشيء ، بيد ان الدكتور شفتشنكو قال متبسما بسخرية :

— هزلى قطكم هذا . يقوم بالحراسة ! انه لشيء طريف ...

آه ، يا نينا ، لم يكن ذلك هزليا ولا طريفا البتة بالنسبة لى . ولكنّ ليو—يو العرفان على حنانها ...

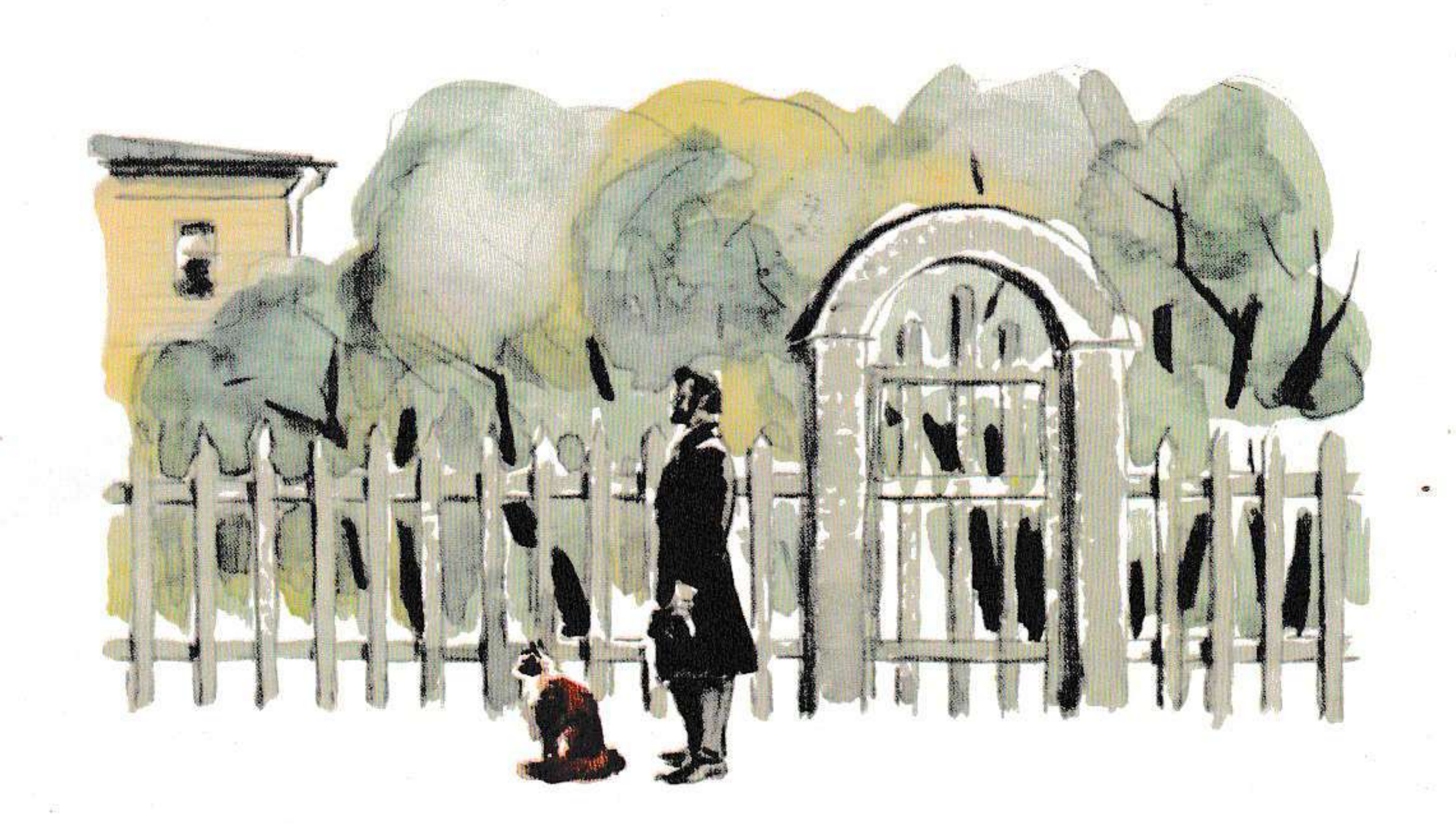
ثم كان هناك ما هو غريب ايضا . فور حلول انعطاف حاسم فى صحة كوليا نحو الاحسن بعد النكسة الاخيرة وعندما أذن له بتناول مختلف انواع المأكولات واللعب فى السرير ، تركت عندئذ يو—يو مكانها . نامت طويلا على سريرى دون خجل حتى استعادت قواها . ولم تصب بأى اضطراب لدى زيارتها الاولى لكوليا . اما هو فاحتضنها بقوة ودعكها ، وغمرها بوابل من اسماء التحبب ، حتى تراه ولشدة فرحته اطلق عليها اسم يوشكيفيتش ، لا اعلم سببا لذلك ! تملصت منه بمهارة ، قالت «مرم» ثم وثبت الى الارض وخرجت .

اما بعد فسأحدثك ، يا عزيزتى نينا ، عن اشياء لعلى لا اكون مخطئا اذا قلت بأنك لن تصدقيها . جميع من حدثتهم بذلك اصغوا الىّ بابتسامة تشوبها الريبة والدهاء والاضطرار الى المجاملة . اما الاصدقاء فكانوا يقولون احيانا ، دون تحفظ : «يالخيالكم انتم الكتّاب ! فى الحقيقة تستحقون ان تحسدوا عليه . فمتى سُمع ورؤى قطة تعزم على التحدث فى التلفون ؟»

هكذا ، فقد عزمت حقا . اسمعى ، يا نينا ، كيف حدث ذلك .

نهض كوليا من السرير وهو هزيل ، مصفر ، مخضر ، شفاهه عديمة اللون ، عيناه غائرتان ، اصابعه الصغيرة الوردية اللون شفافة يخترقها الضوء . ولكن القوة العظيمة التى لا تنضب هى الطيبة الانسانية . تسنى ارسال كوليا لقضاء دور النقاهة ، برفقة والدته ، فى مصح جيد يبعد مسافة مائتى فرستا * . يصل المصح بمدينة بتروغراد خط سلكى مباشر ، كما يمكن ، بشيء من المثابرة ، طلب بلدتنا وهى مصيف صغير والتحدث بالتلفون مع بيتنا . ادركت والدة كوليا كل ذلك بسرعة .

* فرستا : يساوى ١٠٦٠ مترا . الناشر .



وفى احدى المرات وبفرحة حقة ودهشة رائعة استمعت فى السماعة الى اصوات عزيزة : فى البداية صوت نسائى جدى متعب قليلا ، ومن بعد صوت رقيق ومرح .

باتت يو — يو فترة طويلة فى اضطراب وحيرة لسفر صديقيها — الكبير والصغير . تجوب الغرف وهى تدس انفها فى اركانها قائلة بنبرة معبرة : «ميك !» لاول مرة وخلال معرفتنا الطويلة بدأت اسمع منها هذه الكلمة . لا اقدم على قول ما تعنى هذه الكلمة بلغة القطط ، اما بلغة البشر فهى تعنى بوضوح وعلى سبيل المثال : «ماذا حدث ؟ اين هم ؟ اين اختفوا ؟»

ثم تستجلى الامر منى بعيون صفراء — مخضرة مفتوحة باتساع ، قرأت فيها الاستغراب والتساؤل الملحّ .



اختارت الارض ، ثانية ، فرشة لها ، فى مكان منعزل ضيق بين طاولة الكتابة والتخت . دعوتها الى الكرسى الوثير والى التخت دون جدوى — امتنعت ، ولما حملتها الى هناك لم تقم دقيقة واحدة على جلوسها حتى وثبت بأدب راجعة الى زاويتها المظلمة ، الخشنة والباردة .

كان جهاز التلفون موضوعا فى فسحة مدخل البيت الصغيرة على طاولة مستديرة وبقربها كرسى بلا مسند مصنوع من القش . لا اذكر ، فى اية مكالمة لى مع المصحح وجدت يو — يو جالسة عند قدمى ؛ اتذكر فقط ، بأن ذلك حدث فى البداية . ولكن سرعان ما اصبحت القطة تأتى راكضة كلما رن جرس التلفون ، واخيرا نقلت مكان اقامتها نهائيا الى فسحة مدخل البيت .

لم أفهم يو ــ يو الا بعد فوات الاوان وعندما فى احدى المرات واثناء مكالمتى لكوليا برقة ، قفزت بدون ان تحدث ضجة ، من الارض الى كتفى ، حافظت على توازنها ثم مدت وجهها المنفوش من وراء خدى مسترقة السمع .

فكرت : «سمع القطط ممتاز ، وعلى اية حال فهو يفوق سمع الكلاب كما هو احدّ بكثير من سمع الانسان» . غالبا ما تعدو يو ــ يو بعد سماعها وقع خطواتنا من بعيد ونحن عائدون فى وقت متأخر من الزيارة لتستقبلنا ونحن لم نزل عند المفترق الثالث من شارعنا . وهذا معناه انها تعرف اصحابها جيدا .

وبعد ، فقد كان من معارفنا ولد حرك جدا ، اسمه جورجيك ، يبلغ الرابعة من عمره . ضايق القطة كثيرا فى زيارته الاولى لنا : شعثها من اذنها وذيلها ، ضمها بأشكال مختلفة بشدة وطاف بها الغرف ضاغطا بالقوة على بطنها ــ لم تطق صبرا على ذلك ولكن ولاتسامها بالوداعة دائما فانها لم تلجأ الى مخالبها ولو مرة . ولكن كلما زارنا جورجيك فيما بعد ــ و مهما طال غيابه عنا اسبوعين ، شهرا او حتى اكثر ، ــ كان يكفى يو ــ يو ان تسمع صوت جورجيك الجهورى وهو لا يزال على عتبة البيت حتى تنطلق كالسهم هاربة وتصيح شاكية : فى الصيف تقفز من خلال اول نافذة تجدها مفتوحة ، فى الشتاء تنسل تحت التخت او تحت صوان الثياب . انها ، بدون شك ، تتمتع بذاكرة جيدة .

فكرت متأملا : «ترى اية غرابة فى انها تعرفت على صوت كوليا اللطيف وامتدت لترى اين يختفى صديقها العزيز ؟»

اشتدت بى الرغبة للتحقق من صحة تكهناتى . وكتبت فى نفس الامسية رسالة مفصلة الى المصح شرحت فيها بالتفصيل تصرفات القطة وطلبت من كوليا بإصرار ان يتذكر ، من كل بد ، كلماته الحنونة السابقة ، التى كان يلاطف بها يو ــ يو عندما كان فى البيت ، ليعيدها فى مكالمته القادمة لى بالتلفون ، وسأقوم بدورى بوضع السماعة على أذن القطة .

سرعان ما استلمت الجواب . فقد تأثر كوليا بذكرى يو ــ يو وطلب ابلاغها التحية . سيكلمنى من المصح بعد يومين ، وفى اليوم الثالث سيجمعون امتعتهم



راجعين الى البيت .

وهذا ما حدث فعلا ، ففى صباح اليوم التالى ابلغت بأنى سأتلقى ، فى الحال ، مكالمة تلفونية من المصح . جثمت يو ــ يو بقربى على الارض . اخذتها واجلستها على ركبتى . رن صوت كوليا المرح بطراوة . يا لكثرة انطباعاته الجديدة ومعارفه الجدد ! ويا لتعدد اسئلته البيتية وطلباته وتوصياته ! بالكاد وفقت فى طرح طلبى :

ــ عزيزى كوليا سأضع السماعة الآن على اذن يو ــ يو . حاضر ، اسمعها كلماتك اللطيفة .

ــ اية كلمات ؟ انى لا اعرف مطلقا اية كلمات ، ــ اجابنى صوته بملل .

ــ عزيزى كوليا ، ان يو ــ يو تصغى اليك . حدثها بما هو رقيق ، عجل .

— ولكنى لا اعرف . لا اذكر . هل ستشترى لى بيتا خارجيا للطيور كالذى يعلقونه عندنا هنا وراء النافذة ؟

— هيا كولينكا ، هيا يا عزيزى ، هيا يا طيب فإنك قد وعدت بالتحدث الى يو — يو .

— ولكنى لا اجيد الكلام بلغة القطط . لا أقدر . لقد نسيت .

وفجأة طقطق شيء ما فى السماعة وزبط وارتفع صوت عاملة البدالة قائلا :

— لا يجوز التحدث بسخافات . علقوا السماعة . الزبائن الآخرون فى الانتظار .

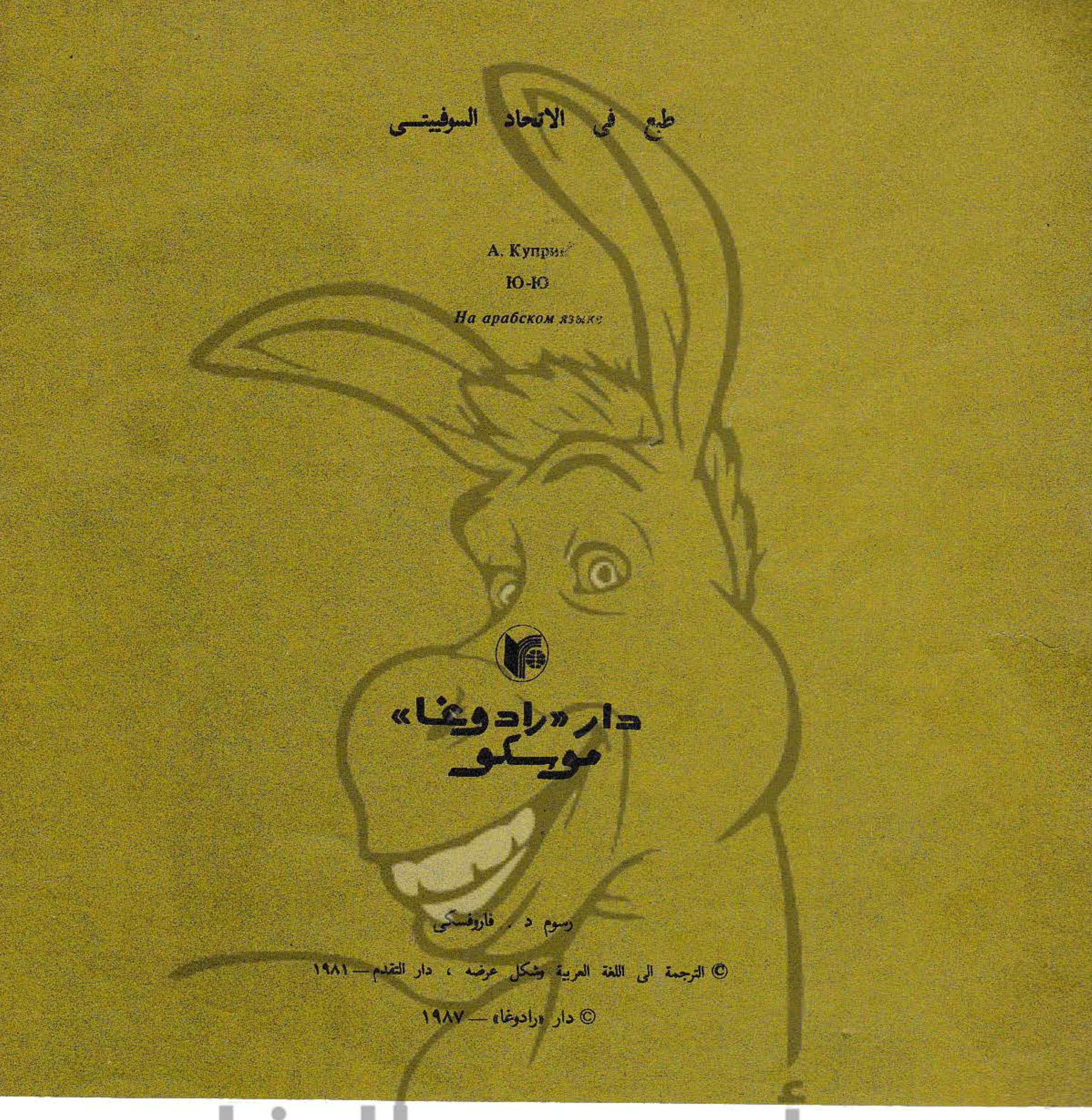
طرقة خفيفة وانتهت وشوشة التلفون .

وهكذا لم تتحقق تجربتنا مع يو — يو . مع الاسف . فقد كان من الممتع جدا بالنسبة لى معرفة ما اذا كانت قطتنا الذكية سترد على كلمات الملاطفة المعروفة لديها بكلمتها الرقيقة «موررم» .

هذا كل ما لديَّ عن يو — يو .

لقد ماتت من الشيخوخة منذ زمان ليس ببعيد ، ويعيش عندنا الآن القط «الشخار» ذو البطن المخملى . سأحدثك عنه ، يا عزيزتى نينا ، فى المرة القادمة .





طبع في الاتحاد السوفييتي

А. Куприн

Ю-Ю

На арабском языке

دار «رادوغا»
موسكو

رسوم د . فاروفسكي

ISBN 5-05-001204-X